مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

في التَّسْلِيْمِ القُرْآنِيِّ

الطَّاقَةُ الأُسْلُوْبِيَّةُ لِلْفِعْلِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ

صباح عيدان حمود [1]

١ جامعة ميسان / كلية التربية / قسم اللُّغة العربيّة,العراق؛ ssaabbaahh75@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيّة / أستاذ مساعد

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢١/١٠/٢٩	٢٠٢١/١٢/٦	٢٠٢٣/٣/٣١

DOI: 10.55568/t.v13i25.1-22

المجلــد (١٣) العــدد (٢٥)
رمضان ١٤٤٤هـ-آذار٢٠٢٣م

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يعتمد البحث مصطلحًا جديدًا أسماه (الطاقة الأسلوبية) ويعني به القوة التي يمتلكها الفعل في توجيه الدلالة الكامنة إلى طاقة متحرّكة ، لأَنَّ الفعل فيه طاقة الزمن وطاقة الفاعليّة وطاقة المفعوليّة، فهو يختزن هذا الكمّ من الطاقات التي قد تكون بارزة وواضحة، وقد تكون متوسّطة الظهور أو تكون مختفية لأسباب أسلوبّية تخصّ الوظيفة التركيبيّة أو الوظيفة الصوتّية أو الوظيفة الدلاليّة، وبهذا يهيمن الفعل في تفاعله الأسلوبي في اثناء دخوله في التركيب وحسب تصنيفاته وقدرته على تحديد العناصر القادرة على التضامّ معه أسلوبياً وتركيبياً ، إذ يمثّل الفعل العنصر الأساس في بناء الجملة الفعليّة ، وهو الذي يحدّد العناصر المرتبطة به، ويختلف عدد هذه العناصر باختلاف كفاءة الفعل وقدراته الكامنة، والمكونات الإسمية. ومن تلك الطاقات ما اسماه بالطاقة الصوتية التي تُعدّ من ملازمات الفعل الماضي في حالة البناء إذا لم يطرأ طارئ آخر يغيّرها إلى حالة بناء أخرى، ومنها مثلًا حالة القطع للحركة، وحبس الصوت ، وما يسمّى البناء على السكون، عندما تلتحق به بعض الضمائر التي تدلّ على الفاعلية، فيكون اتّصالها به مباشرًا كالأسماء والضمائر، والظروف، ومنها ما يتّصل به اتّصالا غير مباشر ، كالأدوات والحروف وغيرها. وتبين أنَّ الفعل يمتلك طاقة تركيبية من جهة التعدّي واللزوم من هنا يمكننا أنَّ نقسّم الطاقة التي يمتلكها الفعل داخل التركيب ، إلى تقسيمات في ضوء بعض القيم التي تمثل أسلوباً معيناً ومتميزًا ، لا يمكن الحياد عنه مثل طاقة الإيجاد أو(الذكر) طاقة الحذف، أو الاستتار ، وطاقة القصر، أو ما يسمّى بـ (اللزوم)، أو التجاوز، أو ما يسمى بـ (التعدّي) وطاقة الدلالة. وبهذا يمتلك الفعل- لاسّيما في الاستعمال القرآني- طاقة نحوّية متجّددة ، تنعكس على معانيه السياقية ؛ نتيجة تضمنه معاني أفعال أخرى. ومن تلك الطاقات الأسلوبية التي اكتشفها البحث بعيدا عن قضية التعدي لمفعول أو مفعولين أو حتى ثلاثة، وذلك بحسب الحاجة التي يقتضيها التركيب، ولكن نجد أنّ هذه الأفعال حتى وإن صُنّفت في باب اللزوم ، فهي تقتضي شيئاً آخر ليس من المفعولات ، كالتمييز مثلا ، أو الحال ، أو المفاعيل الأخرى.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، الفعل في القرآن الكريم، الطاقة التركيبية

Stylistic Dynamism of Verb in Glorious Quran

Sabah `Aedan Hamood[1]

1 University of Missan/ College of Education / Department of Arabic , Iraq ;

ssaabbaahh75@gmail.com

PhD in Arabic Language / Assistant Professor

Received:	Accepted:	Published:
29/10/2021	6/12/2021	31/3/2023

DOI: 10.55568/t.v13i25.1-22 | Volume (**13**) Issue (**25**) | Ramadan 1444 H March 2023

CC BY NC

Abstract:

The study adopts a new term called " stylistic power" which means the power possessed by the verb in directing the latent significance to a moving power, because the verb contains the power of time, the power of the effectiveness and the power of the effect. It stores this quantity of powers that may be prominent and clear, and it may be little in appearance or be hidden for stylistic reasons related to the structural function, the phonemic function, or the semantic function. Thus, the verb dominates in its stylistic interaction during its entry into the composition and according to its classifications and its ability to identify the elements that are able to unite with it stylistically and synthetically, as it represents the basic element in the construction of the verbal sentence, which determines the elements associated with it . The number of these elements varies according to the efficiency of the verb and its potential capabilities. The nominal components to advocate for those who see that the verb is the basic element in the sentence structure that determines the elements associated with alters according to the efficiency of the verb and its potential capabilities and the nominal components.

One of these powers is called the phonetic power, which is one of the concomitants of the past verb in the case of construction if no other emergency occurs that changes it to another construction state, such as the state of interruption of movement, trapping the sound, and the so-called construction on stillness, when some pronouns that indicate the active part are joined to it, so their connection with it is direct, such as nouns, pronouns, and adverb, whereas others are con-

nected to it indirectly, such as linking words , and others.

The verb possesses a synthetic power in terms of transitive and obligatory. Accordingly, we can divide the power possessed by the verb within the structure to divisions in the light of some values that represent a specific and distinct style, which cannot be deviated from, such as the power of finding , mentioning , power of deletion, or concealment, and power of shortening, or what is called (obligatory), or transitive, or what is called (transitive) and the power of semantics.

Keywords: Stylistics , Verb in Glorious Quran, Potentials

المُقَدِّمَةُ

لم يُعهد استعمال مصطلح الطاقة الأسلوبية من قبل ؛ لذا صار لزوماً بيان القصد من هذا المصطلح في دلالته في موضوع البحث الذي بين أيدينا، وبصورة موجزة إنَّ المقصود منها هنا: القوى التي يمتلكها الفعل في توجيه الدلالة الكامنة فيه إلى طاقة متحركة داخل التركيب؛ لأنَّ الفعل فيه قوّة الزمن، وقوّة الفاعليّة ، وقوّة المفعوليّة، فهو يختزن هذا الكمّ من القوى التي قد تكون بارزة وواضحة، وتشكل بمجموعها طاقة، وقد تكون متوسطة الظهور، أو تكون مختفية، لأسباب اسلوبية تخصّ الوظيفة التركيبيّة، أو الوظيفة الصوتيّة ،أو الوظيفة الدلالية ؛ لأنَّ الفعل بقسميه الوظيفيين :(المتعدّي واللازم) ، له تأثير واضح في بناء النص ، وهو المسؤول عن توجيه الطاقات الكامنة في التركيب ، و يمتلك القوة في تحريك أدوات التعبير في الجملة الفعلية ، ويكفيه أنه أخذ الصدارة في تسميتها بهذا الاسم (الجملة الفعلية) ، على الرغم من وجود الاسم معه في الجملة نفسها، وكذا في أقسامه الزمنية (المضي والحضور والاستقبال) يؤثّر الفعل في توجيه التركيب إلى الوجهة الزمنية التي يريدها صاحب النص، ويحدد زمن الحدث . ويملك طاقة دلالية أيضا كدلالة الطلب والتحول من زمن معين إلى زمن آخر، أو استمراريّة الزمن في بعض الحالات .

وبهذا يهيمن الفعل في تفاعله الأسلوبي في أثناء دخوله في التركيب وبحسب تصنيفاته وقدرته على تحديد العناصر القادرة على التضامّ معه أسلوبياً وتركيبياً ، إذ يمثّل العنصر الأساس في بناء الجملة الفعلية ، فهو يحّدد عدد العناصر المرتبطة به، ويختلف عدد هذه العناصر باختلاف قوة الفعل وطاقته الكامنة ، فيكون اتّصالها به مباشًرا كالأسماء والضمائر،والظروف، ومنها ما يتّصل به اتّصالا غير مباشر ، كالأدوات والحروف وغيرها.[١]

لذا سيعمل هذا البحث على بيان هذه الطاقات، ومحاولة كشفها في وسط التراكيب التي يكون الفعل جزءًا مهما في بنائها الداخلي. وبحسب المباحث الآتية:

١ الفرواني, رفعت عبد السلام, مدخل إلى علم اللُّغة المعاصر (القاهرة, ١٩٩٦), ٥٧.

أولا: الطاقة التركيبية:

يمكننا أن نكتشف القدرة التي يتمتّع بها الفعل داخل التركيب من جهات متعّددة، ولعلّ أوضحها لفتاً للنظر ، ما يتعلّق بالتعدّي واللزوم، فقد يحتاج الفعل في وجوده إلى اسم واحد يتضامّ معه ؛ لرسم الصورة الأخيرة للوجود التركيبي للجملة ،التي يكون الفعل عنصراً أساسيًّا في هيكليتها ، وبهذا يكون مكتفياً بإسناده إلى فاعله الذي يكون به حاجة إليه ؛ إذ إنَّ كلّ حدث مقارن للزمن؛ يستوجب وجود مُحْدِث يستبطنه مع استبطانه للزمن ولذات الفعل، أو يحتاج إلى اسم آخر تكتمل معه الصورة البنائية للجملة التي يتضمّنها، وقد تتجاوز الحاجة من الاسمين إلى اسم ثالث، قد يكون مفعولا له، أو به، أو فيه. فهو في الأحوال كلّها يمكنه أن يتضمّن بما يتّفق مع التقسيم المنطقي الذي حدده تشومسكي في كتابه (المعرفة اللغوية) ؛ إذ قسّمها على قسمين رئيسين: [٢]

أولاً : أفعال المكان الواحد وهي الأفعال اللازمة ،ويقع المركب الإسمي الذي يرتبط بالفعل في موقع الفاعل منها ، فحاجة الفعل إلى فاعله تعني الطاقة الكامنة التي تبرز لجذبه للفاعل كقولنا : جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ.

ثانيا: الأفعال ثنائية المكان ، ويرتبط معها مركبان إسميان يقع الأوّل منهما فاعلا، والثاني مفعولا به، كقولنا : أحضر الولدُ كتاباً.

من هنا يمكننا أن نقّسم الطاقة التي يمتلكها الفعل داخل التركيب على أقسام ؛ إذ تمثّل أسلوباً معيناً ومتميّزا ، لا يمكن الحياد عنه ، وتركه . فمن هذه الطاقات اللافتة :

١-طاقة الإيجاد أو(الذكر) ، ونعني بها ما يستبطنه الفعل من ضرورة وجود الفاعل ،ووجود المفعول ، أي لابدّ من وجودهما في الحيّز الذي يوجد في الفعل ، وهذا يتعلّق بالإسناد بجميع أقسامه.

٢-طاقة الحذف، أو الاستتار: ونعني بها قدرة الفعل عن التخلّي عن الفاعلية، أو المفعولية ؛ لأنَّه يمتلك مقومات التعويض عن وجودهما، سواء بصيغته، أو بزمنه ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَ فَلا يَعْلَمُ إِذا بُعْثِرَ ما فِي الْقُبُورِ ﴾[التغابن ٩]، فالمعلوم أنَّ (يَعْلَمُ) من الأفعال المتعدّية لمفعولين، وحُذف مفعولاه ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى توجيه هذا الحذف توجيها

٢ تشومسكي, نعوم, المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها, ترجمة. محمّد فتيح, د.ط. (مصر: دار الفكر العربي, ١٩٩٣), ١٣٦.

نحوياً مقبولاً ؛ إذ يقول: ((ولا دليل في اللفظ على تعيين تقديرهما ، فيُوكل إلى المتلقّي تقدير ما يقتضيه المقام من الوعيد والتهويل ، ويسمّى هذا الحذف عند النحويين الحذف الاقتصاري، وحذف كلا المفعولين اقتصاراً جائز عند جمهور النحويين وهو التحقيق، وإن كان سيبويه يمنعه)).[٣] وفي هذا إشارة واضحة إلى المساحة التي يمتلكها الفعل في تفعيل حركية النصّ ،وإعطاء مساحة للمتلقّي في اختيار التقدير الذي ينسجم مع مستواه المعرفي .

٣- طاقة القصر، أو ما يسمّى بـ (اللزوم)، أو التجاوز، أو ما يسمى بـ (التعدّي)، و نعني بها : إنَّ الفعل قد يكتنز طاقة دلالية وأسلوبية كبرى ، تجعله مكتفياً بذكر فاعله، ويسمّى حينها فعلاً لازماً، فيشكّل تركيباً بسيطاً نشطاً في الاكتفاء بأصوات مع ألفاظ قليلة ، وغالباً ما يتمثّل هذا في فعل الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ [هود :١١٢] وبعض الافعال الماضية والمضارعة . وقد يكون أقلّ طاقة من ذلك، فاحتاج اللازم إلى مفعول به، أو طاقة متوسطة تجعله محتاجاً إلى ذكر المفعول الواحد ، أو طاقة أقل تمكّنه من احتياج المفعولين.

٤-طاقة الدلالة، ونريد منها قدرة الفعل على أن يتضمّن معنى فعل آخر ، قد يساويه في طاقة اللزوم، أو طاقة التعّدي، أو قد يخالفه في اللزوم ،وفي التعدّي، أي قد يكون الفعل لازماً فيحلَّ محلّ الفعل اللازم .[٤]

لذلك يمكننا أن نكون مع من يرى أن الفعل هو العنصر الأساس في بناء الجملة، وهو الذي يحّدد العناصر المرتبطة به، ويختلف عدد هذه العناصر باختلاف كفاءة الفعل وقدراته الكامنة، والمكونات الإسمية، والظروف هي التي تتعلّق بالفعل بصورة مباشرة، ويأتي في الطبقة التالية للفعل مباشرة، وتتّصل الصفات وأدوات التعريف وأسماء الإشارة وغيرها بالفعل اتصالاً غير مباشر.[٥]

إذاً فنحن أمام بنية مهمة في التركيب الجملي للنص؛ لأنَّ دور الفعل، يمثّل نظاماً مهمّاً في

٣ التونسي، محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن عاشور, التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) (تونس: الدار التونسية للنشر, ١٩٨٤), ٣٠/ ٥٠٤.

٤ حيدر, فريد عوض, فصول في علم الدلالة, د.ط. (مصر: مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع, ٢٠١١), ١٨.

٥ الفرواني, مدخل إلى علم اللغة المعاصر, ٥٨.

عملية الدلالة الوظيفية للتراكيب الجملية داخل النصّ، وهو ما يراه بعض الباحثين؛ الذي يرى أن الفعل هو المحور في خلق الدلالة، إذ يقول: ((عبارة عن نظام من الأدوار الوظيفية الدلالية التي تُمنح من خلال اعتبار الفعل محورا للعمليات الدلالية))[٦] ، فمحورية الفعل تعني أنَّه يتمّتع بطاقات قادرة على تغيير البنية التركيبية والأسلوبية، وهي سبب إلى إنتاج دلالي متميز يمنحه الفعلُ للتركيب.

وسوف يتّضح هذا في الأمثلة التي سندرسها في النصّ القرآني ، وهو ما يكون غالباً في الأفعال التي لها القدرة أن تكون متعدّية في سياق تركيبي معين ، وهي نفسها قد تكون لازمة في سياق تركيبي آخر، فربَّما تكون طاقة الفعل في سياق ما تتطلّب مفعولا به؛ ولكن هذه الطاقة قد تتراجع في سياق آخر، ويجعل وظيفة الفعل الإشارة إلى وقوع الحدث مجّرداً عن التأثير في محلّ وقوعه، بل يكون لبيان ذلك الحدث فقط ، فمثلاً يقال: إنَّ فلاناً يعطي ويمنع،فلا يكون هناك شيءٌ مُعطى ، ولا شيءٌ ممنوع؛ بل المراد هو القدرة على مطلق العطاء والمنع.[٧]

وهذا يدلُّ على أنَّ الفعل حتى وإن كان يمتلك طاقة التعدّي لمفعول بعينه ؛ لكنّه قد يتخلّى عن ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[البقرة ١٧]، فالفعل (أضاء) قد يكون متعدّياً فيكون المعنى أن النار أضاءت غيرها، فتكون (ما) الموصولة في محل نصب مفعول به، ويُحتمل أن تكون أضاءت بنفسها ؛ فيكون الفعل لازماً و(ما) ظرفاً للفعل، أو زائدة. وبهذا يضفي الفعل طاقات جديدة للتركيب، تتحكّم في تقديرات الأسماء الواقعة معه في سياقه[٨][٩]. وهنا يتّضح أنّ الفعل متعدٍ، أو لازم.

وفي آية أخرى نجده بلا مفعول، كما في قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ... ﴾[النور ٣٥]، وهو واضح من صيغته المضارعة أنّه من الفعل الرباعي (أضاء)، لما

٦ الوعر، مازن, نحو نظرية لسانية عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الاساسية في اللُّغة العربيّة, ط ٢ (دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر, ١٩٩٢), ٧٦.

٧ الرازي, أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين, مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير, ط٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٩٨٨), ١١٢/ ١٣.

٨ العكبري ,أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله, التبيان في إعراب القرآن, تحقيق. البجاوي، علي محمّد (لبنان: عيسى البابي الحلبي وشركاه, ١٩٧٦), ١/ ٣٣.

٩ الرازي, مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ,١/ ٤٥٦ .

تبين من ضمّ حرف مضارعه. وهذه التغيّرات في طاقة الفعل ، فيها قيمٌ أسلوبية واضحة، نابعة من كون اللُّغة القرآنية لغة متحّركة ، تستجيب لحاجة السياق الذي قِيلت فيه. وفي مثال آخر يكون الأمر أكثر تفصيلاً ،كما في قوله تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد ٥٧]، فالفعلان (يحيي ويميت) على الرغم من انَّهما متعديان ؛ ذكر المفسرون لهما توجيهات عدّة منها:

-يحيي الأموات للبعث ، ويميت الأحياء في الدنيا. وذهب الزجّاج إلى أنّه يحيي النطف ويميتها [١٠]، فنلحظ أنَّه هنا قدر مفعولي الفعلين ؛بناء على قوتهما في التعدّي ، فكلاهما يمتلك طاقة التعدّي لمفعول .

-ولكن الرازي يرى بأنَّه ليس المراد منهما تخصيص الإحياء ، والإماتة بزمان معين،وبأشخاص معينين ؛ بل معناهما أنَّ الله قادر على خلق الحياة والموت، ففي هذه الحال يكون الفعلان غير محتاجَين إلى تقدير مفعولين ؛ بل المراد منهما إيقاع الحدثين أنفسهما ؛ لا إثبات وقوعهما على شيء معين ؛ بل المقصود ((كونه سبحانه هو المنفرد بإيجاد هاتين الماهيتين على الإطلاق ، لا يمنعه عنهما مانع، ولا يرّده عنهما راد)) [١١].

وهذا دليل على أنَّ الفعل الذي يمتلك طاقة التعدّي ، قد يكون لازماً من جهة الوظيفة الإعرابية، لكنَّه يمتلك الطاقة إلى تعيين أنواع من المفاعيل، وعدم ذكرها. ويُترك هذا لقوة إدراك المتلقّي وقدرته على التقدير، على وفق القراءة التي يقتضيها السياق ، المرتبطة بقدرته على فهم السياق والأسلوب الذي سيق فيه الفعل. أو المعاني المجازية التي يكتنزها الفعل ،كالإيجاز والتضمين والتعظيم ، وغيرها من المعاني التي يريدها مبدع النص.

ثانياً: طاقة الحذف:

ونعني بها هنا أنَّ الفعل لديه القدرة الأسلوبية التي تمكنّه من حذف ما يحتاجه التركيب على الرغم من أنّه وظيفيًّا هو متعدٍ، فنجد في أمثلة معينة كيف تتبدل طاقة التعدية في الفعل إلى طاقة الحذف، فتنتقل إلى مسارات جديدة، منها حذف المفعول الواحد ، أو أحد

١٠ الزجاج ,أبو إسحاق إبراهيم بن السري, معاني القرآن وإعرابه, تحقيق. د عبدالجليل عبده شلبي, د.ط. (القاهرة: دار الحديث, ١٩٨٨), ٥/ ٩٦.

١١ الرازي, مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ,١٥/ ٣٥٥ .

المفعولين ، كما في قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة ٤]، فيرى أحد المفسرين أن (أخبارها) مفعول ثانٍ للفعل (تُحدِّث)؛ لأنَّه ممّا ألحق ب(ظنَّ) لإفادة الخَبَرِ عِلماً، وحُذف مفعوله الأول لظهوره، أي أنّه بيّنٌ ومعروف لدى المتلقّي ،أي تُحدّث الإنسان؛ لأنَّ الغرض من الكلام هو إخبارها لما فيه من التهويل. [١٢]

وقد يمتلك الفعل طاقة أخرى جديدة في بيان نوع المفعولية ، ونعني بها هنا أن الفعل لا يمكنه أن يتعدى بنفسه إلى مفعوله ، ولكنّه يتعدّى بوساطة الحرف، وقد يجبر هذا الحرف على التخلّي عن موضعه ، وهو ما يسمّى بنزع الخافض، فالفعل يمتلك من القوة التي تجعله يتجاوز الخافض ويلغي عمله(الجر)، وينصب ما بعده مفعولاً، أو تشبيها بالمفعول، و يذهب ابن عاشور في قراءة جديدة للفعل نفسه في الآية السابقة ، إذ يرى جواز أن ينتصب (أخبارها) على نزع الخافض، وتقدير باء الجارة المحذوفة [١٣] . وهنا تدخل في التركيب بسبب الطاقة التي يمتلكها الفعل لنزع هذا الخافض، وهو ملمح أسلوبي مهم رسمه لنا الفعل (تُحدّث) ، إذ تظهر طاقته التركيبة احتمالات متعدّدة في احتياجاته لمفعول ظاهر وآخر مقدّر،أو إنّه لم يكتف بالمفعول المقدّر الحتمي، ويتعدّى إلى ما بعد الخافض إلى مجروره ؛ ليكون منصوباً، ويقوم مقام المفعول به للفعل.

ولاريب أنَّ من يبحث في الأفعال على المستوى التركيبي ، وملاحظة الاختلافات في توجيه المعاني الوظيفية للفعل من جهة التعدّي ، أو اللزوم ، أو تناوب الدورين في الفعل الواحد، ينبئُ عن القدرات الأسلوبية الكبيرة التي يمتلكها الفعل في اللُّغة العربيّة بصورة عامّة واللُّغة القرآنية بصورة خاصّة.

ثالثاً: الطاقة الصوتية

ونعني بها القدرة المثيرة التي يمتلكها الفعل العربي في التغير الصوتي على وفق مقتضيات وجوده في البناء الجملي، فالفعل من جهة وجوده الزمني يستطيع أنْ يمتلك طواعية التغيير في حالات البناء والإعراب ، فالمعروف أنَّ الفعل الماضي يشدّ المتلقّي إلى زمن حدوثه الذي انقضى،فاكتسب حالة البناء على الفتح، وأعطى صوتاً قصيراً ممدوداً تمثله الفتحة بوضوح في

١٢ عاشور, التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ,٢٥/ ٥٩٩ .
١٣ عاشور, ٢٥/ ٦٠٠.

محاكاتها للألف ، هذه الطاقة الصوتية تُعدُّ من ملازمات الفعل الماضي إذا لم يطرأ طارئ آخر يغيّرها إلى حالة بناء أخرى، ومنها مثلًا حالة القطع للحركة، وحبس الصوت ، وما يسمّى البناء على السكون، عندما تلتحق به بعض الضمائر التي تدلّ على الفاعلية ، التي تمثّل الضرورة الملحّة والحتمية لوجود الفعل داخل التركيب التي أشرنا اليها في المبحث الأوّل ، وهي حاجة الفعل إلى فاعله، واستبطانه له كما في (كتبْتُ، وكتبْنا، وكتبْتَ، وكتبتِ) ، وتخلّى هنا الفعل الماضي عن صوته الأصلي (الفتح) إلى صوت آخر ، أو ما نستطيع أن نسمّيه باللاصوت ؛لأنَّه أصبح ساكناْ، أو صار مبنّياً على السكون ، حسب العرف النحوي . وهذا وإن جاء إليه بسبب خارجي ، ولكنّه يحسب للفعل بما يملكه من طاقة أسلوبية تركيبية، وقدرة صوتية تجعله يتكيّف مع ما يسند إليه من الأسماء المختصرة(الضمائر المتّصلة) . فوجود صوت الفتحة لا يتناسب مخرجاً مع صوت هذه الضمائر ، إذ سيجد الناطق بها صعوبة واضحة ، ربَّما يمكن تفسيره بتوالي أكثر من ثلاثة أصوات قصيرة في التركيب، وبطواعية الفعل الصوتية،تخلّى عن صوت من أصواته القصيرة ، وتقبّل قطعها وتسكينها؛ ليكون قادرًا على التكيّف صوتياً مع الاسم الجديد المتضامّ معه لضرورة اكتمال الدلالة التركيبية.

وهذا التحوّل في الصوت أيضًا، نجده واضحاً في قدرة الفعل الماضي على بناء جديد، وهو البناء على الضَّمِّ في حالة اتّصاله بواو الجماعة ، وهو ما يحدث مع الفعل المضارع ولكن بطريقة مختلفة ، إذ إنَّ سبب تبدّل صوت نهاية الماضي ؛ كانت بسبب اللاحق (الضمائر المتّصلة) ، أمّا ما يسبب التغير الصوتي في الأفعال المضارعة ، فهو أن يكون مسبوقاً بما يسبب هذا التغير الصوتي من صوت الواو القصير المتمثّل بالضّمة ،إلى صوت آخر وهو الألف القصيرة (الفتحة)، إذا سُبق بأحد أدوات التأثير الصوتي التي تسمّى في العرف النحوي أدوات النصب ، وقد تنقطع عنه الحركة ويكون ساكناً ، في حالة سبقه بإحدى أدوات الجزم،أو يحذف منه حرف النُّون في الحالتين السابقتين، إذا ما كان من الأفعال الخمسة.

واللافت للنظر، أنَّ النحويين يؤسّسون إلى حالة تبدّل في طاقة الفعل المضارع من الإعراب إلى البناء ، وذلك عندما تتضامّ معه نون التوكيد بقسميها(الثقيلة والخفيفة) ، أو

نـون النسـوة،التي تُعـد ضمـيرا يحـلُّ محـلَّ الفاعـل الظاهـر. وهـذا التحـوّل الصـوتي في نهايـة الفعـل المضـارع ،هـو نفسـه يحـدث في الفعـل المـاضي كـما سـبق، فالتغيـير الصـوتي حـادث في الفعلـين معـاً ، ومرجعـه إلى أسـباب خارجـة عـن وجودهمـا الوضعـي .

وهـذه الأمـور المتشـابهة تثـير تسـاؤلات مهمـة، منهـا: لمـاذا أصرّ النحويـين عـلى الالتـزام ببنـاء الفعـل المـاضي عـلى الرغـم مـن قدرتـه عـلى تقبـل الأصـوات التـي تمثلهـا علامـات الاعـراب ؟ وفي المقابـل قبلـوا للفعـل المضـارع حالتـي الاعـراب ، والبنـاء في سـياقته التركيبيـة والبنائيـة المختلفـة؟

ودعوى مضارعة الفعل المضارع للاسم في تقبله التغير الصوتي ،غير كافية لقبول الحالات المختلفة.

وحـاول النحويـين أن يضعـوا الفعـل في مكانتـه ، وعـدم التخـلّي عـن صفاتـه العامّـة التـي ينفـرد بهـا عـن الاسـم ، فهـو في عرفهـم لا يقبـل الجـرَّ في جانبـه الوظيفـي النحـويّ ، فالجـر مـن علامـات الأسـماء التـي انفـرد بهـا عـن الأفعـال؛ لـذا فـإنَّ الطاقـة الصوتيـة داخـل التركيـب قـد تجبر الناطـق بكسـر آخـرِ الفعـل ، فاضطـر عندهـا إلى وضـع مـا يقيـه عـن هـذه الصفـة التـي لا تليـق بتكوينـه البنائـي فاسـتحدثوا نـون الوقايـة ، والتـي سُـميت بهـذا الاسـم ، بدعـوى فائدتهـا التـي تكـون مانعـة مـن الكسـر الممنـوع عـن الفعـل في العـرف الـصرفيّ والنحـويّ.

ولكنَّهـم نسـوا في مـكان آخـر، أنَّ الفعـل يُحـرّك بالكسـر عندمـا يكـون سـاكناً ، تحـت سـلطة الجـزم في حالـة الفعـل المضـارع، وذلـك في حالـة الوصـل مـع الاسـماء السـاكنة في صوتهـا الأوّل ،ممّـا يسـبّب تنـازل الفعـل عـن سـكونه إلى الاتّصـاف بصفـة الكسـر ، وهـو يمثـل عـدولاً صوتيـاً في تقبّـل الكسـر ، وإنْ لم يكـن لـه علامـة بنـاء ، أو إعـراب .

وهذا له أمثلة قرآنية وافرة ، منها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾[النساء ١٦٨] فالفعل (يكون) مجزوم ، فحذفت الواو منها تخلّصاً من ظاهرة التقاء الساكنين التي تأباها القدرة النطقية، ومن ثمَّ تحرّك حرفه الآخِر عن سكونه إلى الكسر،متأثّراً بوجود الساكن في الاسم الذي وقع بعده، فتمتع الفعل بطواعية قبول الكسر للتخلّص من عائق نطقي ؛ لذا يقال عند إعرابه : فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون ، وحُرِّك بالكسر للتخلّص من التقاء الساكنين. وهنا تقبّل الفعل صوت الكسر؛ ولكنّه ليس على شاكلة الإعراب أو البناء.

رابعاً : الطاقة الدلالية

ونعني بها هنا، أنَّ بعض الأفعال تمتلك الطاقة الدلالية المتبدِّلة في السياق ، ومنها دلالة التضمين الدلاليّ ، أي إنَّ الفعل يتضمن معنى فعل آخر ليأخذ صفاته ، فتتغير دلالته الوضعية إلى دلالة الاستعمال ، وكذلك في الجانب الوظيفي ؛ فيكون متعدياً مثلاً، بعد أن كان لازماً، أو بالعكس ؛ وذلك قد يكون بسبب الكفاءة التي يمتلكها أحد الفعلين ، وتفاوت في الطاقة الدلالية والأسلوبية عند أحدهما ، اذا ما قورن بالآخر [١٤]، أو يكون تامّاً بعد أن كان ناقصاً.

وهذا التبدّل الدلالي في الفعل، يعني أنَّ طاقة الفعل تبدلت على وفق الأسلوب الذي صيغت به ، والسياق الذي وضعت فيه ، وهي صفة أسلوبية لافتة تمتلكها الأفعال في اللُّغة ، ولاسّيما لغة القرآن الكريم ، ومن الأمثلة على ذلك الفعل (جَعَلَ) واستعمالاته في القرآن الكريم.

فيلحظ أنَّ الفعل (جَعَلَ) يتفاعل مع المعنى السياقي الذي يوضع فيه، ونوع المفردات التي يفرضها السياق القرآني ، فتولّدت معانٍ نحوية جديدة تضمنها لفظ الفعل ، تجاوزت المعاني المعجمية التي وضعت للفعل (جَعَلَ) ، وهذا يعني أنَّ هذا الفعل، ولاسيّما في الاستعمال القرآني؛ لديه طاقة نحوية متجدّدة ، تنعكس على معانيه السياقية ؛ نتيجة تضمّنه معاني أفعال أخرى؛ ولكنّها لا تخرج عن المعنى المركزي للفعل، وهو الصيرورة والحركة ((وإنّ كلَّ تضمين، أو إشراب، أو تأويل لمعنى هذا الفعل بمعنى فعل آخر؛ يؤدّي إلى تسكين صورة الفعل الحركيّة داخل التركيب التي تظهر في الجملة القاعدية الأصل . وهي تتألّف من دخول الفعل مع مفعولين من الذوات أو الأشياء، الأوّل : متحوَّل عنه، والآخر : متحوَّل إليه)) [١٥]. فمثلًا في قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون ٤١]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَ قَدِمْنا إِلى ما عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورا ﴾ [الفرقان ٣٣]تلحظ أنّ الفعل (جَعَلَ) هنا تعدى إلى مفعولين ، وهو ملتزم بالمعنى الوضعي له من الإيجاد والصيرورة ، وكلا المفعولين يمتلك معنيين ، هما من الأمور الحسيّة التي تنسجم مع دلالة الفعل المعجمية ؛ لذا كانت طاقته متعادلة مع المعاني الوظيفية

١٤ حيدر, فصول في علم الدلالة, ١٩ .

١٥ حميدي, خالد كاظم و حسين, تومان غازي, "معاني (جَعَلَ) في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني," مجلة اللُّغة العربيّة وآدابها . كلية الآداب جامعة الكوفة ١٢ (٢٠١١): ٢٩٤..

النحوية التي حققها التركيب القرآني ، ونعني بها قدرته على طلب مفعولين .

عندها يمكن القول : إنَّ عملية التحوُّل والصيرورة التي ولدها معنى الفعل المعجمي جاءت منسجمة مع المعنى الوظيفي النحوي، وهو المفعولية ، فطاقة الفعل الدلالية احتاجت إلى مفعولين حسيين ، كانا في أصلهما يشكّلان تركيباً مستقّلاً (مبتدأً وخبراً) ؛ ولكن طاقة الفعل الكامنة ، حركتهما إلى وظيفة نحوية جديدة، وهي المفعولية، وهذا يشكّل ملمحاً أسلوبياً يتمتّع به الفعل حين يدخل على الجملة الإسمية ، فيفرض طاقاته التركيبية والوظيفية عليها، مع احتفاظه بدلالته المعجمية.

في حين نجد الفعل نفسه يتضمّن معنى فعلٍ آخر ؛ وذلك لأنّه شكّل تركيباً جديدا في جملة أخرى ، الخبر فيها ليس شيئاً حسيًّا ، كما في قوله تعالى : ﴿ ... يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة ١٩]، فوجود الجار والمجرور في التركيب،يفرض في المعاني النحويّة عاملاً يتعلّق فيه ، ولا يوجد غير الفعل (جَعَلَ) من يملك هذه الطاقة التي تجذب الجار والمجرور اليها ، ومعنى حرف الجر (في) الذي يعني الظرفية ؛ جعل هذا الفعل يتخلّى عن معنى الصيرورة ، والإيجاد ، إلى معنى فعل آخر قد يكون (يدخل، أو يضع) ، وأيضًا ضعّف من حاجته إلى مفعول ثانٍ حقيقي.

من هنا ذهب المعربون إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ مفعول لأجله على المشهور، ولكن هناك من يرى أنَّ قوله تعالى: ﴿ مِّنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ مفعول لأجله[١٦]، فوجود مفعولين بالمعنى نفسه جعل الفرّاء يقول: هو منصوب على التمييز[١٧] ، ويرجع في الحقيقة إلى النكرة، أي حذرًا من الموت.

ولو قدر للآية أن تكون بهذه الطريقة(يجعلون حذر الموت أصابعهم في آذانهم من الصواعق) لكان المعنى صحيحاً ، فيكون سبب جعل الأصابع في الآذان هي الصواعق،وسبب هذا السبب خوف الموت والتحرّز من الموت، ولا مانع من تعقيب المفعول لأجله بمفعول لأجله أيضا. وغير خفي: أن تسمية متعلّقات الفعل وخصوصياته بالأسماء المختلفة، لا يمنع أن يكون المفعول لأجله مفعولاً واقعاً، بل هو من توابع الفعل، أو من الأسباب المنتهية إلى الفعل، وهو الجعل في

١٦ الأندلسي، أبو حيان محمّد بن يوسف بن علي بن حيان, البحر المحيط في التفسير, تحقيق. جميل، صدقي محمّد (بيروت: دار الفكر, ١٤٢٠), ١/ ٨٧.

١٧ القرطبي ,أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري, الجامع لأحكام القرآن, ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية, ١٩٣٥), ١/ ٢٢٠.

هـذه الآيـة، ولا شـبهة في إمكان نقل الأسباب والعلـل المختلفـة المترتبة بعضهـا على بعض.

وهنـا يكـون المعنـى الجديـد للفعـل مفروضـاً أسـلوبياً عليـه، فرضـه التركيـب ؛ بسـبب المعنـى الظـرفي لحـرف الجـر. وكذلـك السـببية التـي دلّ عليهـا المفعـول لأجلـه، فـإنَّ هـذا يوحـي إلى معنـى جديـد ((هـو المعنـى المقصـود، الـذي يصـوّر تشـويه الأصابـع شـكلا وحجـماً ؛ لتأخـذ طريقهـا عـبر الزمـان ، حتـى تسـتقرّ في جـوف الأذن ، لتؤلّـف صـورة تخيليـة، تعـبّر عـن حقيقـة نفسـية، بأسـلوب بليـغ ، يوحـي بمعـانٍ كثـيرة ، منهـا : شـدّة الخـوف والقلـق)) [١٨] .

ومـن هنـا لا يمكـن أن نتصـوّر معنـى آخـر للفعـل غـير هـذا المعنـى الـذي يناسـب الوضـع المتناغـم مـع المعنـى الأصـلي للفعـل، وهـو الصـيرورة. فيشـكل المعنيـان ملمحـاً خاصّـاً بالفعـل (جَعَـلَ)لا يقـوم مقامـه غـيره.

وقـد نـرى ذلـك في اختـلاف السـياقات القرآنيـة في اسـتعمال فعـلٍ في سـياق معـين ، لحادثـة واحدة ، واسـتعمال فعـل آخـر يتضمّـن معنـاه ، أو بينهـما عمـوم وخصـوص مـن جهـة التداخـل الـدلالي بينهـما. فالفعـل (جحـدَ) مثـلا قريـب مـن معنـى (كفـر) ، عـلى الرغـم مـن اختـلاف دلالـة الوضـع بينهـما . فيسـتعمل أحدهمـا بـدلاً مـن الآخـر ، كـما في قولـه تعـالى: ﴿ وَ تِلْـكَ عـادٌ جَحَـدُوا بِآيـاتِ رَبِّهِـمْ وَ عَصَـوْا رُسُـلَهُ وَ اتَّبَعُـوا أَمْـرَ كُلِّ جَبَّـارٍ عَنِيـدٍ ﴾ [هـود ٥٩] والجحـد: الإنـكار الشّـديد،[١٩] مثـل إنـكار الواقعـات والمشـاهدات. والمعـروف أنَّـه يختلـف عـن دلالـة (كَفَـرَ) في الوضـع التـي تعني التغطيـة والسـتر [٢٠] ، لكنَّـه أخـذ دلالتـه، وكـذا عمـل عملـه ؛ لـذا ذهـب أحـد المعربـين إلى توضيـح ذلـك بقولـه: ((وعُـدي(جَحـدوا) بالبـاء مـع أنّـه متعـدٌّ بنفسـه لتأكيـد التّعديـة، أو لتضمينـه معنـى كفـروا فيكـون بمنزلـة مـا لـو قيـل: جحـدوا آيـات ربّهـم وكفـروا بهـا)) [٢١]. وكـذا الفعـل (كَفَـرَ) في قولـه تعـالى : ﴿ أَلَا إِنَّ عَـادًا كَفَـرُوا رَبَّهُـمْ أَلَا بُعْـدًا لِّعَـادٍ قَـوْمِ هُـودٍ ﴾ [هـود ٦٠] فيتضّمـن (كفـروا) معنـى (عصـوا) ، بدلالـة المطابقـة بـين وظيفتهـما النحويـة ، وهـي التعديـة فاختلفـت طاقـة الفعـل الأسـلوبية مـن فعـل إلى آخـر، فالفعـل كَفَـرَ هـو فعـل لازم ، ولكنَّـه عندمـا تضمّـن معنـى (عـصى)

١٨ حميدي و حسين, "معاني (جَعَلَ) في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني," ٢٩٧.

١٩ المصري, محمّد بن مكرم بن علي ابن منظور, لسان العرب, تحقيق. عبد الوهاب العبيدي, ط ٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي, ١٩٩٩), مادة(جحد).

٢٠ المصري, مادة (كفر).

٢١ عاشور, التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ,١٠٦/١٢ .

صار متعدّياً، بدون الحاجة إلى حرف الجر ((وعدّيَ (كفروا ربّهم) بدون حرف الجر لتضمينه معنى عَصَوْا في مقابلة (واتّبعوا أمر كلّ جبّارٍ عنيدٍ)، أو لأنّ المراد تقدير مضاف، أي نعمة ربّهم لأنّ مادّة الكفر لا تتعدّى إلى الذات وإنّما تتعدّى إلى أمر معنويّ.))[٢٢]

وأطلق الوحي على أمر التكوين، أي أوجَدَ فيها أسباب إخراج أثقالها فكأنَّه أسرَّ إليها بكلام ، كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل: ٦٨].

وعُدّيَ فعل (أوحى) باللام لتضمين (أوحى) معنى (قال) كقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: ١١]، وإلّا فإنَّ حقّ (أوحى) أن يتعدّى بحرف (إلى). والقول المضمَّن هو قول التكوين قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾[النحل: ٤٠] وإنَّما عُدل عن فعل: (قال لها) إلى فعل (أوحى لها) ؛ لأنَّه حكاية عن تكوين لا عن قول لفظي. وهكذا نجد أنَّ الطاقة المتجدّدة في الفعل بسبب قدرته على تضمين معنى آخر لفعل جديد قريب منه في الدلالة السياقية ، ولكنّه يختلف عنه في الدلالة الوضعية التي سُجلت له في المعجم، وهذا كلّه بسبب قدرته التركيبية ومرونته الأسلوبية .

وهناك طاقة دلالية يكتسبها الفعل في حالة المضارع؛ لأنَّه لحقت به أحرف جديدة حوّلت زمنه إلى الحال ،أو الاستقبال، ولكنَّه بوساطة هذه الأحرف اللواحق اكتسب دلالة الفاعل، ونوعه باحرف المضارعة(أ ن ي ت) ، فيكون مع الهمزة الفاعل هو المتكلّم ، ولا ينصرف إلى غيره، ومع النُّون يكون الفاعل هم جماعة المتكلّمين ، والياء يكون الفاعل هو الغائب ، ومع التاء يكون الفاعل هو أنثى الغائبة ، أو الشخص المخاطَب .

خامساً: طاقة المجاوزة

ونعني بها هذا الاستعمال المجازي الذي تمتلكه بعض الأفعال القرآنية بالرغم من ندرة استعمالها ، وقلّة وجودها، لكنّها أحدثت لفتاً أسلوبياً يستحقّ التأمّل، بعيدا عن قضية التعدّي لمفعول أو مفعولين أو حتى ثلاثة، وذلك بحسب الحاجة التي يقتضيها التركيب، ولكن نجد أنَّ هذه الأفعال حتى وإنْ صُنّفت في باب اللزوم ، فهي تقتضي شيئاً آخر ليس من المفاعيل ، كالتمييز مثلا، وذلك بسبب أنّها جاءت في سياق إسنادي يُحتّم وجود هذا

٢٢ عاشور, ١٢/ ١٠٧.

التمييز ، فمثلا الفعل(اشتعل) الذي لم يستعمل في القرآن إلّا مرّة واحدة فقط، وجاء مسندا إلى غير فاعله المعتاد، فالمعنى المعجمي للفعل (اشتعل) يفرضُ عليه نوعين من الفاعلية، وهما النار والوقود التي تسبب النار فيقال : اشتعلت النارُ، وهنا الفاعل مُسبَّب، وكان نتيجة لوجود سبب للنار وهو الوقود، وأمّا اشتعل الحطبُ، فأُسند الإشعالُ للسبب، ففي الواقع الاستعمالي للفعل يُسند في الغالب لهذين الفاعلين ، ولكنَّ المفاجئ في الاستعمال القرآني – وهو الوحيد – فقد أُسند الفعل (اشتعل) إلى الرأس ، في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾[مريم٤]، فكأنَّ الرأس هو النار، أو هو الحطب، من هنا وُجدت هذه التوجيهات المختلفة في الحاجة إلى التمييز(شيباً) الذي قيل عنه إنَّه مُنقلبٌ عن الفاعل، وقدّروا له مجازا أنَّ أصل الجملة هو (اشتعل) شيبُ الرأس، إذ قال الزمخشري فيها : ((شُبِّه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشعر وفشوّه فيه وأخذه منه كلّ مأخذ، باشتعال النار؛ ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. وأخرج الشيب مميزاً)) [٢٣] . والباحث يرى أنَّ البلاغيين ربَّما وهموا في هذا التوجيه؛ لأنَّهم رأوْا من جانب أنَّ المشتعل هو النار، ناظرين إلى اللهب الخارج، والشيب أكثر قرباً للهب من جهة المشابهة في اللون والظهور ، ولكن لو نَظروا إلى اشتعال الحطب ، وهو سبب وجود النار لكان الإسناد على حاله، وإنّ التمييز ليس منقلباً عن الفاعل؛ بل إنّ الرأس هو سبب الاشتعال، لّما يحدث فيه من عمليات احتراق الخلايا المغذّية لبصيلات الشعر الذي يصبح لونه أبيضًا فيُسمى شيباً.

ويرى الباحث أنَّ المفسرين تبعا للبلاغيين قد التبست عليهم الأمور، في عملية الإسناد فلجؤوا إلى فلسفة هذا النوع من الإسناد بقضية المجاز العقلي، ولعلَّ ابن عاشور في التحرير والتنوير ، اختصر لنا طريق البحث عن أقوال الآخرين ، فقال: ((وإسناد الاشتعال إلى الرأس مجاز عقلي، لأنَّ الاشتعال من صفات النار المشبَّه بها الشيب، فكان الظاهر إسناده إلى الشيب، فلما جيء باسم الشيب تمييزاً لنسبة الاشتعال؛ حصل بذلك خصوصية المجاز وغرابته، وخصوصية

٢٣ الزمخشري, محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد أبو القاسم, الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, د.ط. (لبنان: دار المعرفة, ٢٠٠٩), ٢/ ٥٠٢.

التفصيل بعد الإجمال، مع إفادة تنكير ﴿ شَيباً ﴾ من التعظيم فحصل إيجاز بديع. وأصل النظم المعتاد: واشتعل الشيب في شعر الرأس)) [٢٤]. أمّا صاحب المفتاح فقد تنبّه إلى قوّة هذا النوع من التركيب ، فحاول أنْ يقارب بين التوجيهين ، قائلاً: ((إسناد الاشتعال إلى الرأس ؛ لإفادة شُمول الاشتعالِ الرأسَ؛ إذ وزان اشتعل شيبُ الرأس، واشتعل الرأس شيباً، وزان اشتعلت النار في بيتي، واشتعل بيتي ناراً)) [٢٥]. من هنا فلا يوجد مجاز في عملية الاسناد في هذه المسألة؛لأنَّ الفعل اُشْتُعْلِ َاستعمل في معناه الحقيقي الذي هو المعنى الآخر لفاعل (اشتعل) ، وهذا التوجيه الأسلوبي للفعل لا يعني أنَّ الباحث يناصر القائلين بغياب المجاز في القرآن الكريم ؛ولكن هناك معاني يمكننا فيها الاعتماد على الإسناد الحقيقيّ للفعل لا الإسناد المجازيّ.

وكذلك الحال في الفعل(فجّر) في قوله تعالى : ﴿ وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر ١٢]. الملحوظ أنَّ لفظة (عيوناً) قد أخذت مساحة تأويليّة واسعة عند المعربين ، وهذا لا يخصّ المفردة ونوعها؛ بل يخصّ الطاقة التي يمتلكها الفعل (فجر)،وقدرته على التفاعل مع الألفاظ التي تتضامّ مع التركيب الذي احتضنه ، ف(عيوناً) : ذكرت له أوجه إعرابيّة ، أشهرها: أنَّه تمييز، أي: فجرنا عيونَ الأرضِ، فنقله من المفعولية إلى التمييز،وهنا لابدَّ من ملاحظة شيء ، أنَّ المفعول به الأصلي في الآية ، وهو الأرض صار مضافًا إليه ، والواقع أنَّ الفعل ودلالته الإنجازية وكذلك طاقته في الحاجة إلى مفعول به لم تفجّر العيون حقيقة ، إنَّما الذي تفجَّر هو الأرض وصارت عيوناً ، وهو ليس من الأفعال التي تحتاج إلى تعّدد المفاعيل؛ بل كان في حاجة إلى توصيف نوع التفجير ؛ لذا جاء الوصف بكلمة التمييز الذي يمكن ان يصنف في دائرة الوصف؛ من هنا حاول بعض المعربين أن يضع توجيهات إعرابية جديدة للفظة (عيون) ومنع توجيه التأويل الذي يقول: إنَّ التمييز مُحوَّل من مفعول به. [٢٦]

من هنا ذهب آخرون إلى أنَّه ، إمَّا منصوب على البدل من "الأرض". وهو بدل اشتمال وفيه

٢٤ عاشور, التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ,١٤/ ١٠ .
٢٥ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي, مفتاح العلوم, تحقيق. نعيم زرزور, ط ٢ (لبنان: دار الكتب العلمية, ١٩٨٧), ١/ ٣٩٨.
٢٦ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم, الدر المصون, د.ط. (لبنان – بيروت: دار القلم, د.ت.) ,١٠/ ١٣٣ .

ضمير مقدر، أو أنَّه مفعول ثانٍ لأنَّه ضمن "فجرنا" معنى صيرناها بالتفجير عيونا. ، أو أنَّه حال.[٢٧]

وكلُّ هذه التأويلات الإعرابية إنَّما توحي بقوة الطاقة التي يمتلكها الفعل فجر في قدرته على قبول هذه المتعلّقات التي تعني أنَّها بيان للفعل وقوته التنجيزية داخل التركيب، فهو قادر على أن يتجاوز المفعول ويصل إلى منصوبات أخرى مع غض النظر عن نوع المنصوب ودلالته.

ويمكننا أن نرى هذه الطاقة الاسلوبية في كثير من الأفعال الأخرى التي استعملها القرآن الكريم التي تمتلك القدرة نفسها في بيان الدلالات الوظيفية للفعل.

٢٧ الدايم, ١٠/ ١٣٣.

الخاتِمــة:

-أوجد البحث مصطلحاً جديداً أسماه الطاقة الأسلوبية للفعل، ويعني بها: القوى التي يمتلكها الفعل في توجيه الدلالة الكامنة فيه إلى طاقة متحركة داخل التركيب؛ ومن هذه القوى ، قوّة الزمن ،وقوّة الفاعلية ،وقوة المفعولية، التي قد تكون بارزة وواضحة، وتشكّل بمجموعها طاقة، وقد تكون متوسّطة الظهور ، أو تكون مختفية لأسباب أسلوبية تخصّ الوظيفة التركيبيّة، أو الوظيفة الصوتية ، أو الوظيفة الدلاليّة .

-يمتلك الفعل طاقة تركيبية من جهة التعدي واللزوم ،ومن هنا يمكننا أن نقسّم الطاقة التي يمتلكها الفعل داخل التركيب ؛ إذ تمثل أسلوباً معيناً ومتميزا ، لا يمكن الحياد عنه: طاقة الإيجاد أو(الذكر) وطاقة الحذف، أو الاستتار ، وطاقة القصر، أو ما يسمّى بـ (اللزوم)، أو التجاوز، أو ما يسمّى بـ (التعدّي) وطاقة الدلالة.

-توصّل البحث إلى مناصرة من يرى أنَّ الفعل هو العنصر الأساس في بناء الجملة، وهو الذي يحدّد العناصر المرتبطة به، ويختلف عدد هذه العناصر باختلاف قوة الفعل وقدراته الكامنة، والمكونات الإسمية.

-وجود الطاقة الصوتية التي تُعدُّ من ملازمات الفعل الماضي إذا لم يطرأ طارئ آخر يغيّرها إلى حالة بناء أخرى، ومنها مثلًا حالة القطع للحركة، وحبس الصوت ، وما يسمّى البناء على السكون، عندما تلتحق به بعض الضمائر التي تدلّ على الفاعلية.

-وتبيّن أنَّ هذا الفعل لاسيّما في الاستعمال القرآني؛ لديه طاقة نحوية متجدّدة ، تنعكس على معانيه السياقية ؛ نتيجة تضّمنه معاني أفعال أخرى؛ ولكنّها لا تخرج عن المعنى المركزي للفعل، كما في الفعل (جعل) والأفعال التي تشابهه في المعنى.

-ومن الطاقات التي اكتشفها البحث بعيدا عن قضية التعدّي لمفعول أو مفعولين أو حتى ثلاثة، وذلك بحسب الحاجة التي يقتضيها التركيب، إنَّ هذه الأفعال حتى وإنْ صُنّفت في باب اللزوم ، فهي تقتضي شيئاً آخر ليس من المفاعيل ، كالتمييز مثلًا ، أو الحال ، أو المفاعيل الأخرى.

-وهناك نتائج كثيرة يمكن للقارئ الباحث أن يكتشفها وهو يتمعّن في طيّات هذا البحث الموجز .

المصادر:

القرآن الكريم

الدايم، أحمد بن يوسف بن عبد. الدر المصون. د.ط. لبنان – بيروت: دار القلم، د.ت.

الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير. ط٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨.

الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري. معاني القرآن وإعرابه. تحقيق د عبدالجليل عبده شلبي. د.ط. القاهرة: دار الحديث، ١٩٨٨.

الزمخشري، محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد أبو القاسم. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. د.ط. لبنان: دار المعرفة، ٢٠٠٩.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. تحقيق نعيم زرزور. ط ٢. لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله. التبيان في إعراب القرآن. تحقيق البجاوي، علي محمّد. لبنان: عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٦.

الفرواني، رفعت عبد السلام. مدخل إلى علم اللُّغة المعاصر. القاهرة، ١٩٩٦.

القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٥.

المصري، محمّد بن مكرم بن علي ابن منظور. لسان العرب. تحقيق عبد الوهاب العبيدي. ط ٣. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.

تشومسكي، نعوم. المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها. تحقيق محمّد فتيح. د.ط. مصر: دار الفكر العربي، ١٩٩٣.

حميدي، خالد كاظم، و تومان غازي حسين. "معاني (جَعَلَ) في الأفراد والإسناد والاستعمال القرآني." مجلة اللُّغة العربيّة وآدابها . كلية الآداب جامعة الكوفة ١٢ (٢٠١١).

حيان، الأندلسي، أبو حيان محمّد بن يوسف بن علي بن. البحر المحيط في التفسير. تحقيق جميل، صدقي محمّد. بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠.

حيدر، فريد عوض. فصول في علم الدلالة. د.ط. مصر: مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١.

عاشور، التونسي، محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد). تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

مازن، الوعر، نحو نظرية لسانية عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الاساسية في اللُّغة العربيّة. ط ٢. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٢.

References

Holy Quraan

Al-Akhbari, Abu Al-Baqa Abdullah ibn Al-Husayn ibn Abdullah. Al-Tibyan fi I'rab Al-Qur'an. Tahqiq Al-Bijawi, Ali Muhammad. Lubnan: Isa Al-Babi Al-Halabi wa Shuraka'uhu, 1976.

Al-Daym, Ahmad ibn Yusuf ibn Abd. Al-Durr Al-Musoon. D.T. Lubnan - Bayrut: Dar al-Qalam, n.d.

Al-Farwani, Rafa't Abd Al-Salam. Madkhal ila 'Ilm Al-Lugha Al-Mu'asir. Al-Qahira, 1996.

Al-Misri, Muhammad ibn Makram ibn Ali ibn Manzur. Lisan Al-Arab. Tahqiq Abd Al-Wahhab Al-Ubaydi. T3. Bayrut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, 1999.

Al-Qurtubi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad Al-Ansari. Al-Jami' li-Ahkam Al-Qur'an. T2. Al-Qahira: Dar Al-Kutub Al-Misriyya, 1935.

Al-Razi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Umar ibn Al-Hasan ibn Al-Husayn Al-Taymi Fakhr Al-Din. Mafatih Al-Ghayb aw Al-Tafsir Al-Kabir. T3. Bayrut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi, 1988.

Al-Sakkaki, Abu Ya'qub Yusuf ibn Abi Bakr. Miftah Al-Ulum. Tahqiq Naim Zarzur. T2. Lubnan: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1987.

Al-Zajjaj, Abu Ishaq Ibrahim ibn Al-Sari. Ma'ani Al-Qur'an wa I'rabuh. Tahqiq Abduljalil Abduh Shalabi. D.T. Al-Qahira: Dar Al-Hadith, 1988.

Al-Zamakhshari, Mahmud ibn Umar ibn Muhammad ibn Ahmad Abu Al-Qasim. Al-Kashaf an Haqa'iq Al-Tanzil wa Uyun Al-Aqawil fi Wujuh Al-Ta'wil. D.T. Lubnan: Dar Al-Ma'rifa, 2009.

Ashur, al-Tunisi, Muhammad al-Tahir ibn Muhammad ibn Muhammad al-Tahir ibn. Al-Tahrir wal-Tanwir (Tahrir al-Ma'na al-Saddid wa Tanwir al-'Aql al-Jadid min Tafsir al-Kitab al-Majid). Tunis: Al-Dar Al-Tunisiyya lil-Nashr, 1984.

Chomsky, Noam. Al-Ma'rifah Al-Lughawiyah: Tabi'atuha wa Usuluha wa Istikhdamuha. Tahqiq Muhammad Fatih. D.T. Misr: Dar Al-Fikr Al-Arabi, 1993.

Hamidi, Khalid Kazim, and Tuman Ghazi Husayn. "Ma'ani (ja'ala) fi al-afrad wal-isnaad wal-isti'mal al-qur'ani." Majallat al-Lughah al-'Arabiyah wa Adabuha. Kulliyyat al-Adab Jami'at al-Kufa 12 (2011).

Haydar, Farid Awad. Fusul fi 'Ilm Al-Dalalah. D.T. Misr: Maktabat Al-Adab

lil-Tiba'a wal-Nashr wal-Tawzi', 2011.

Hayyan, al-Andalusi, Abu Hayyan Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn. Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir. Tahqiq Jamil, Siddiq Muham-mad. Bayrut: Dar Al-Fikr, 1420.

Mazin, al-Wa'ir,. Nahw Nazariyah Lughawiyah 'Arabiyah Hadithah li Tahlil al-Taraqib al-Asasiyah fi al-Lughah al-'Arabiyah. T2. Dimashq: Dar Tlas lil-Dirasat wal-Tarjama wal-Nashr, 1992.